محاضرة حول ثقافة الفقر" أوسكارلويس"

تمهيد:

يُعدّ أوسكار لويس من أبرز علماء الأنثروبولوجيا الاجتماعية الذين تناولوا ظاهرة الفقر من منظور ثقافي-اجتماعي، حيث ارتبط اسمه بشكل خاص بمفهوم **" ثقافة الفقر"** وقد جاءت دراساته في سياق التحولات الاجتماعية والاقتصادية التي عرفتها المجتمعات النامية، خاصة في أمريكا اللاتينية، سعيًا إلى فهم الفقر ليس فقط بوصفه حالة مادية ناتجة عن نقص الدخل، بل باعتباره **نسقًا من القيم وأنماط السلوك وأساليب التكيف** التي تتشكل لدى الفئات المهمشة عبر أجيال متعاقبة. اعتمد لويس في دراساته على المنهج الاثنوجرافي، من خلال الملاحظة بالمشاركة والمقابلات المتعمقة ودراسة الحياة اليومية للأسر الفقيرة، كما يتجلى ذلك في أعماله الميدانية حول أحياء الصفيح في المكسيك وبورتوريكو. وقد مكّن هذا التناول من الكشف عن الأبعاد الثقافية والاجتماعية للفقر، وإبراز علاقته بالبنية الاجتماعية وعدم المساواة، وهو ما جعل دراسة لويس مرجعًا أساسيًا في تحليل الفقر الحضري والنقاشات السوسيولوجية حول استمراره وإعادة إنتاجه.

ويعرف الباحثون المهتمون بقضايا الفقر أن هناك نوعين من الفقر أساسين هما: الفقر المطلق والفقر الذاتي، النوع الأول مرتبط بالدخل ويقاس بخطى الفقر الأدنى والأعلى والنوع

الثاني مرتبط بتقدير الفقراء لأنفسهم من خلال المنظور الأدنى لمستوى المعيشة والمرتبط بمدى القدرة على توفير متطلبات الحياة اليومية ويرى الباحثون أن الشخص الفقير هو الشخص الذي يشعر بالحرمان من إشباع الحاجات الأساسية أو الحصول عليها بصورة ميسرة وتتضمن تلك الحاجات الغذاء، المسكن، المأوى، التعليم، لقد تبنى مفهوم ثقافة الفقر العالم الأنثروبولوجي أوسكار لويس في الستينات من القرن الماضي باعتبارها طبقة اجتماعية ذات خصوصية اقتصادية وثقافية وما أثار انتباهه من خلال ملاحظاته العميقة للمجتمعات الفقيرة بأمريكا الوسطى والجنوبية، وبالأخص في منطقة بورتوريكو بالمكسيك ، لقد قام لويس

أوسكار من خلال رواية الحياة الموسومة بـ" أطفال سانشيز " صورة و طريقة بيوغرافية في الأنثروبولوجيا أطلق عليها اسم " الايثنوبيوغرافيا " و قد استخلص من خلال هذه الرواية فيما يتعلق بأهمية روايات الحياة الذاتية فالجمهور القارئ يستمتع بقراءة روايات الحياة و السيرة.

مفهوم ثقافة الفقر:

ثقافة الفقر هي مجموعة من القيم والتصورات والعادات وأنماط السلوك التي تنشأ داخل البيئات الفقيرة نتيجة ظروف الحرمان الاجتماعي والاقتصادي المستمر، وتؤثر في طريقة تفكير الأفراد وتفاعلهم مع المجتمع والمؤسسات، بما قد يساهم في استمرار أوضاع الفقر عبر الزمن.

حيث عرفت المجتمعات البشرية كافة أنواع الفقر في حقب زمنية مختلفة وأصبح الفقر أكثر المشكلات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي تؤرق المجتمعات حاليا و أن خمس الدخل العالمي يذهب للفقراء فهناك فرق بين معنى الفقر ثقافة الفقر فالفقر يعني ببساطة الحرمان والحاجة أو العوز الذي ينتج عنه عدم إشباع الحاجات الأساسية للإنسان من طعام ومأوى وملبس، أما مفهوم " ثقافة الفقر فلا يتضمن معنى الحرمان المادي أو المعنوي من امتلاك الأشياء أو المقومات ولكنه يعني أسلوب الفقراء في العيش في الحياة هذا الأسلوب الذي يتوارثه الخلف عن السلف عن طريق الأسرة التي تعيش في نطاق جماعات من الأفراد ذات مستويات معيشية دنيا، فالفقر ظاهرة معقدة ولا ترتبط بالجانب المادي فقط بل لها جوانبها النفسية المدمرة والمرتبطة باهتزاز الشخصية والتي هي مزيج من الشعور بالهشاشة وبالتهديد وبالصدمات والضغوطات الحياتية كذلك الشعور الدائم بالعدمية والتسليم بالظروف الحالية واعتبرها قاهرة وتدني مستوى الطموح والدافعية عدم القدرة على مواجهة ظروف الحياة. **(التير مصطفى عمر، 1992، صفحة 36)**

وتعتبر ثقافة الفقر ثقافة فرعية تترعرع في رحم لثقافة الاجتماعية الأم ولكنها ثقافة مختلفة عن ثقافة المجتمع الأكبر، وإذا فهي تنتقل من جيل إلى جيل فتؤثر على الأطفال حيث يتعلمون منذ الصغر القيم

والاتجاهات الأساسية لثقافتهم فلا يستفيدون من الفرص التي تظهر في حياتهم فيقاوم الفقراء القابعون تحت ثقافة الفقر التغيير في ثقافتهم بسبب القيم التي يعتقدونها وبسبب نظرة المجتمع إليهم وقد أشار لويس أوسكار سنة 1961 بدور ثقافة الفقر في إرساء دعائم الفقر عندما طرح دور هذه الثقافة في تفسيره لظاهرة الفقر ففي رأي لويس أن الفقر ليس نتيجة لنواحي القصور والعجز الفردية بل هو محصلة لبيئة اجتماعية

ثقافية واسعة تجري فيها التنشئة الاجتماعية للأطفال وتنتقل ثقافة الفقر عبر الأجيال لان الأطفال يدركون في سن مبكرة، أنه لا معنى للطموح أو التطلع إلى حياة أفضل ويستعيضون عن ذلك بالاستسلام والتواكل والرضا بأوضاع الفقر والعوز، لقد ميز أوسكار لويس بين الفقر وثقافة الفقر فهو ينظر إلى الفقر ليس باعتباره حالة اقتصادية وإنما كثقافة فرعية وقد وضع تعريفا لمفهوم ثقافة الفقر مؤداه أن ثقافة الفقر هي طريق للحياة يتوارثها كل جيل من الجيل السابق عن طريق عمليات التنشئة الاجتماعية داخل الأسرة و في ضوء هذا المفهوم فإن الفقر لا يعتبر فقط حالة من الحرمان الاقتصادي أو مظهرا من مظاهر التفكك أو عدم توافر بعض الثقافة المادية و إنما يتضمن جوانب إيجابية تساعد الفقير على التكيف في ظروف الحرمان الاقتصادي و عليه " فتشكل ثقافة الفقر أسلوب حياة الفقراء حيث يميلون إلى العزلة و عدم المشاركة التطوعية و اتخاذ موقف من السلطة بجانب الشعور بالدونية و هنا يرتبط الفقر بالمحددات البنائية ورأس المال الاجتماعي. (**عبد الله نادية جبر، 2004، صفحة 135**)

خصائص ثقافة الفقر:

لا يقتصر تناول ثقافة الفقر على تعريفها النظري فحسب، بل يقتضي التعمق في خصائصها الأساسية التي تعكس الكيفية التي يتفاعل بها الأفراد المنتمون إلى الأوساط الفقيرة مع واقعهم الاجتماعي والاقتصادي. فثقافة الفقر، كما أبرزتها الدراسات السوسيولوجية والأنثروبولوجية، تتجلى في مجموعة من السمات والقيم وأنماط السلوك التي تتشكل بفعل أوضاع الحرمان والتهميش المستمر، وتؤثر في أنماط التفكير والتنشئة

الاجتماعية والعلاقات داخل الأسرة والحي، وكذلك في طبيعة العلاقة بالمؤسسات الرسمية. ومن خلال رصد هذه الخصائص، يصبح من الممكن فهم الآليات الاجتماعية التي تُسهم في إعادة إنتاج الفقر واستمراره، دون اختزال الظاهرة في أبعاد اقتصادية أو تحميل الأفراد مسؤولية أوضاعهم. وعليه، فإن عرض خصائص ثقافة الفقر يشكّل مدخلًا تحليليًا ضروريًا لفهم الفقر بوصفه ظاهرة اجتماعية مركبة ومتعددة الأبعاد.

وعليه لقد حدد لويس أوسكار مؤشر لفقر الاجتماعي في" انتشار الأوبئة، عدم المشاركة في المنظمات الثقافية والسياسية، انخفاض الأجور، البطالة، ارتفاع معدلات التزاحم في المسكن انخفاض المستوى التعليمي والمهني، غياب المشاركة في برامج الخدمة، الاجتماعية، وجود مستوى أدنى من التنظيم، وجود جماعات مؤقتة أما مؤشرات الفقر الفردية فقد حددها أوسكار في الشعور بالبؤس، الهامشية، الشعور بالانطواء، الاستسلام، أو القدرية، ارتفاع معدلات الوفاة، الشعور بالطبقية والتمايز، عدم الاستجابة للضبط الاجتماعي، غياب الوعي الطبقي. **(مقاوسي صليحة، 2008، صفحة 36)**

ويمكن ان نوجزها باختصار في النقاط التالية:

1. ضعف الاندماج في المؤسسات الرسمية
2. تميل الفئات الفقيرة إلى ضعف الثقة في مؤسسات الدولة (المدرسة، الإدارة، القضاء)، ويقتصر تعاملها معها غالبًا على الحدّ الأدنى، نتيجة تجارب التهميش والإقصاء.
3. التركيز على الحاضر وضعف التخطيط للمستقبل يسود نمط تفكير آني، حيث يتم الاهتمام بتلبية الحاجات اليومية المباشرة، مقابل محدودية الادخار أو التخطيط طويل المدى.
4. الشعور بالعجز وانخفاض الطموح الاجتماعي ينتشر الإحساس بعدم القدرة على تغيير الوضع الاجتماعي، مما يؤدي إلى ضعف المبادرة والاستسلام للواقع القائم.

5. هشاشة البنية الأسرية تتميز الأسرة في سياق ثقافة الفقر بعدم الاستقرار (تفكك، غياب أحد الوالدين، أدوار غير متوازنة)، مع تحمّل الأطفال لمسؤوليات مبكرة.

6. قوة الروابط غير الرسمية يقابل ضعف العلاقة بالمؤسسات الرسمية اعتمادٌ قوي على شبكات التضامن غير الرسمي، مثل العائلة الموسعة والجيران.

7. ضعف المشاركة السياسية والمدنية تتسم الفئات الفقيرة بمحدودية الانخراط في الحياة السياسية والنقابية، نتيجة الشعور بعدم الجدوى أو الإقصاء.

8. انتقال أنماط السلوك عبر التنشئة الاجتماعية تُعاد إنتاج ثقافة الفقر عبر الأسرة والحي، حيث يتعلم الأطفال منذ الصغر أنماط التكيف مع الحرمان. **(رشوان حسين عبد الحميد ، 2007، صفحة 31)**

9. عدم الاستقرار المهني والدخل غير المنتظم يعتمد الأفراد غالبًا على أعمال مؤقتة أو غير مستقرة، مما يعزز الإحساس بعدم الأمان الاقتصادي.

10. الإحساس بالتهميش الاجتماعي يتولد شعور بالاغتراب عن المجتمع الأوسع، مع ضعف الإحساس بالانتماء والاعتراف الاجتماعي.

مدخل عام لدراسة ثقافة الفقر:

يُعدّ أوسكار لويس (Oscar Lewis) عالم أنثروبولوجيا اجتماعية أمريكي، ارتبط اسمه بدراسة ثقافة الفقر la culture dela pauvreté سنة 1961التي أنجزها في سياق التحولات الاجتماعية والاقتصادية التي عرفتها المجتمعات الحضرية. جاءت هذه الدراسة نتيجة أعمال ميدانية طويلة أجراها لويس في أوساط الفئات الفقيرة، خاصة في أحياء الصفيح بالمكسيك وبورتوريكو، حيث اعتمد على المنهج الاثنوجرافي القائم على المعايشة المباشرة، والملاحظة بالمشاركة، والمقابلات المعمقة، ودراسة التاريخ الحياتي للأسر. وقد أُنجزت هذه الدراسة في ظروف اتسمت بانتشار الفقر الحضري، والهجرة الريفية، واتساع الفوارق الاجتماعية، الأمر الذي

دفع لويس إلى محاولة فهم الفقر من الداخل، انطلاقًا من التجارب اليومية للفقراء أنفسهم، لخمسة أسر في مدينة مكسيكو "سنة 1959، حيث تعرض بالتفصيل إلى الأنشطة الجماعية والعلاقات التفاعلية والأنشطة الفردية خارج البيت وكانت هذه الأسر الخمسة تختلف عن بعضها البعض إلى حد ما في درجة الفقر وفي الخلفية الاجتماعية. **(محمد الجوهري ل.، 1983، صفحة 26)**

ثم تطورت أفكار ثقافة الفقر في مؤلف أخر بشكل كامل تحت عنوان " أطفال سانشيز " سنة1961 بدل الاقتصار على المؤشرات الاقتصادية، ومكّن هذا التناول الميداني من إبراز الأبعاد الثقافية والاجتماعية للفقر، وبلورة مفهوم «ثقافة الفقر» بوصفه إطارًا تحليليًا لتفسير استمرارية الفقر داخل السياقات الاجتماعية المهمشة.

لقد اتبع لويس أوسكار في استه المنهج الانثروبولوجي واعتمد من خلال أداة جمع المعطيات الملاحظة بالمشاركة وإقامة علاقة وثيقة مع الاسر المبحوثة وتسجيل المناقشات التي تتم بين أفراد الأسرة بواسطة جهاز التسجيل مع رصد تقارير عن حياتهم الشخصية والاجتماعية وأبرز الأحداث بين افراد الأسرة وكذا المقابلات اليومية، " نجد في تفسير لويس أوسكار لخصائص ثقافة الفقر في الأحياء المختلفة و المتمثل فغياب الوعي الطبقي و انتشار درجة الحساسية نحو تمايز المراكز و إذا أمكن للفقر وادراكهم لأوضاعهم الاجتماعية و اندماجهم في الحركات السياسية المجتمعية و بهذا أظهر لويس فئة من فئات المجتمع و المتمثلة في الفئات الدنيا التي تعيش الفقر و ارتباطها الوثيق بالجانب السكني و المتمثل في الأحياء المختلفة و مالها من ظواهر سلبية على هذه الفئات المهمشة اجتماعيا و اقتصاديا. **(اسماعيل قيرة عبد الحميد ديلمي، 2003، صفحة 146)**

نتائج دراسة ثقافة الفقر:

الأطفال الذين ينشؤون في مناطق فقيرة غرست فيهم قيم نابعة من الحرمان والفقر ولا يستطيعون العيش في مناطق أخرى مغايرة لقيم الفقر والمرأة في ثقافة الفقر تمثل مركز الأسرة النووية التي تقوم بكافة

المسؤوليات الأسرية داخل الأسرة، والمسؤوليات الاقتصادية خارج الأسرة، في حين تكون مسؤولية الرجل هامشية.

تتصف الأسرة الفقيرة بدخل منخفض ومعدل عال من البطالة، وهذا ما يؤدي إلى كثرة المشكلات الاجتماعية والنفسية داخل الأسرة وعدم قدرة افراد الأسرة على السيطرة على انفعالاتهم وغضبهم، مما يزيد من المشاحنات والنزاعات الاسرية بل يضعف العلاقة بينهم. **(معن خليل، 1987، صفحة 213)**

أن ثقافة الفقر تضم أفراد عالية نسبيا، ومتوسط عمر قصير ومستوى منخفض من التعليم وكثرة الأبناء ومشاركة ضعيفة للفراء في أنشطة المجتمع المدني كالنقابات العمالية والأحزاب السياسية الجمعيات الخيرية وعدم المشاركة في برامج الرعاية الصحية.

و الأسرة الفقيرة تعاني من التحلل من كل ما هو مقبول اجتماعيا إلى فقرها الشديد و عزلتها الإيكولوجية و شعور أفرادها باللامبالاة و لتدني أجورهم و معاناتهم من البطالة و تدني مستواهم التعليمي و تخلفهم المهني مما يجعلهم يعانون من تدني في مستوى دخلهم ونقص ملكيتهم الشخصية وانعدام المدخرات المالية ويستجيب أعضاء الأسرة الفقيرة لهذه الظروف الاقتصادية برهن ممتلكاتهم الشخصية واقتراض النقود من المرابين وانشاء جمعيات محلية مع الجيران لمواجهة الأزمات الاقتصادية الطارئة و استخدام الأثاث و الملابس المستعملة و تقبل الهبات و شيوع نمط شراء كميات صغيرة من الطعام.

في ختام هذه الدراسة حول **ثقافة الفقر** كما صاغها عالم الأنثروبولوجيا **أوسكارلويس**، يتضح أن الفقر لا يقتصر على كونه حالة اقتصادية ناتجة عن نقص الدخل أو الموارد المادية، بل يتجاوز ذلك ليشكّل نسقًا ثقافيًا واجتماعيًا متكاملًا، يتضمن منظومة من القيم والاتجاهات وأنماط السلوك التي تتكوّن لدى الفئات الفقيرة في ظل ظروف التهميش والحرمان المستمر. فقد بيّن لويس، من خلال دراساته الميدانية المعمقة، أن

استمرار الفقر عبر الأجيال يرتبط بتكيّف الأفراد مع واقعهم الاجتماعي، ما يؤدي إلى إعادة إنتاج أوضاعهم الهشّة بدل تجاوزها.

وتُبرز هذه الدراسة أهمية فهم الفقر بوصفه ظاهرة اجتماعية مركبة، تتداخل فيها العوامل الاقتصادية مع الأبعاد الثقافية والنفسية، وهو ما يفرض تجاوز التفسيرات الاختزالية التي تُرجع الفقر إلى أسباب فردية فقط. كما تكشف أطروحة ثقافة الفقر عن الدور الذي تلعبه البُنى الاجتماعية غير العادلة في تكريس الإقصاء الاجتماعي، مما يجعل معالجة الفقر مرهونة بإصلاحات شاملة تمسّ السياسات الاقتصادية، والنظم التعليمية، وآليات الإدماج الاجتماعي.

وعليه، فإن دراسة ثقافة الفقر تظل إطارًا تحليليًا مهمًا لفهم ديناميات الفقر المزمن، رغم ما وُجّه إليها من انتقادات، خاصة فيما يتعلق بخطر تحميل الضحية مسؤولية وضعها. غير أن قيمتها العلمية تكمن في لفت الانتباه إلى ضرورة التعامل مع الفقر كظاهرة بنيوية وثقافية في آن واحد، بما يساهم في صياغة مقاربات تنموية أكثر عدالة وفعالية، قادرة على كسر دائرة الفقر وتحقيق الاندماج الاجتماعي للفئات المهمّشة.

خلاصة:

في ختام هذه الدراسة، يتضح أن **ثقافة الفقر** ليست مجرد حالة اقتصادية، بل هي مجموعة من القيم والسلوكيات والمواقف التي تتشكل داخل المجتمعات الفقيرة كنتيجة لتراكم التجارب الاجتماعية والاقتصادية. أظهرت الدراسات المؤسسة، لا سيما أعمال لويس أوسكار، أن الفقر يولّد أنماطًا ثقافية خاصة تؤثر على سلوك الأفراد وطريقة تعاملهم مع الفرص والتحديات. ومع ذلك، فإن هذه الثقافة ليست ثابتة أو متوارثة بالضرورة، بل تتأثر بالظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسات العامة. لذلك، فإن فهم **ثقافة الفقر** يوفّر إطارًا مهمًا لتحليل المشكلات الاجتماعية ووضع السياسات التي تهدف إلى تحسين ظروف الحياة وتوسيع الفرص الاقتصادية والاجتماعية للأفراد والمجتمعات.